الخمرة الصوفية في قصيدة الشاعر الإندونيسي عبد الله بن نوح – دراسة بيانية

Abdul Wahab Naf'an
Canal Suez University, Ismailia
abdulwahab.nafan_afro@suez.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل تجليات الخمرة الصوفية في قصيدة الشاعر الإندونيسي عبد الله بن نوح من منظور بلاغي، وذلك من خلال تحليل الصور البيانية كالاستعارة والتشبيه. تنبع أهمية هذا الموضوع من حضور الرمز الصوفي في الأدب الإسلامي، وقدرة الشعر العربي على التعبير عن التجربة الروحية بلغة رمزية تتجاوز المعنى الظاهري. يسعى البحث إلى تحقيق هدفين أساسيين: أولهما تحليل مظاهر الصورة البيانية للخمرة الصوفية، وثانيهما الكشف عن العلاقة العضوية بين المضامين الصوفية والتقنيات البلاغية المستخدمة في النص. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي للكشف عن بنية الخطاب الصوفي الشعري، من خلال تفكيك الصور واستقراء دلالاتها في ضوء التراث الصوفي. وقد توصلت النتائج إلى أن الشاعر عبد الله بن نوح استطاع أن يوظّف رمز الخمرة الصوفية لا كتعبير عن المتعة الحسية، بل كأداة للتعبير عن التجلي الروحي وحالات الذوق الصوفي، حيث تحوّلت الخمرة إلى رمزٍ للحب الإلهي والفناء في المحبوب. كما أظهرت الدراسة تميّز الشاعر في توظيف الرمزية الصوفية بأسلوب بلاغي يعكس تأثره العميق بالتراث العربي وقدرته على تطويعه داخل السياق الثقافي الإندونيسي. وتبرز أهمية البحث في كونه يقدم نموذجًا تطبيقيًا للتفاعل بين التراث الأدبي العربي والوجدان الإسلامي في جنوب شرق آسيا.

الكلمات المفتاحية: الخمرة الصوفية، عبد الله بن نوح، الصور البيانية، الشعر الصوفي، التفاعل الثقافي.

المقدمة

إن الخمرة في الشعر العربي لحنٌ خالدٌ ينازع الطلل في دوي الذكرى، ويجسّد عالما خارجا عن عالم الزمان والمكان، وانفلاتًا الى عالم يتدافع فيه العقل والوجدان.

إن العرب عرف الخمرة منذ الجاهلية، فصاغوا لها الألقاب، ورصدوا منابعها، ووصفوا ما تبثه في النفوس من نشوة وسكر، بل وذكروا أصحابها الذين أوغلوا في معاقرتها. جاء أبو نواس فارتقى بها الى مذهب شعري وروحي، فصيّرها كونا يتجلى فيه إبداعه وتمرده، وأصبحت خمرته لغةً للروح

تتأوّه بالاشتياق الى التطهير والخلاص، فلم تكن لذةً جسديةً فحسب، بل كانت مرآةً لرؤيته للوجود، ومفتاحاً لثورته على القيود .وهكذا انتقلت الخمرة من حيز الحس الى فسحة الرمز، وأصبحت جسرا بين الشاعر الخمري والعارف الصوفي، فتشابه حال السكرتين: سكرة القدح وسكرة المحبوب، وتوازت دعوتاهما الى الحرية والحلول في ملذوذٍ يذيب الهوة بين العاشق والمعشوق.[1]

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة" الخمرة الصوفية في قصيدة الشاعر الإندونيسي عبد الله بن نوح – دراسة بيانية" من خلال تحقيق الأهداف التالية:

1. الكشف عن الصور البيانية للخمرة الصوفية في شعر ابن نوح، عبر تحليل الصور التشبيهات والاستعارات التي يستخدمها وفق المنهج التحليلي.
2. ربط المضامين الصوفية بالتقنيات البيانية لإبراز كيف تُسهم اللغة في تجسيد مفاهيم الخمرة الصوفية.
3. كشف تجليات الخمرة الصوفية في قصيدة الشاعر الإندونيسي عبد الله بن نوح.

منهج البحث

يسعى البحث أن يحقّق تجليات الخمرة الصوفية في شعر ابن نوح من خلال تحليل الصور البيانية من التشبيهات والاستعارات، وذلك وفق منهجية التحليل البلاغي. والبحث محاولةٌ للإبحار في محيط شعر ابن نوح.

سيرة الشاعر الصوفي عبد الله بن نوح

وُلد الشاعر عبد لله بن نوح في مدينة شنجور Cianjur جاوى الغربية من بلاد إندونيسيا.[(2)] نشأ عبد الله بن نوح في بيئة محفزة على طلب العلم، حيث حرص والداه منذ صغره على غرس تعاليم إسلامية والجهد والذكاء. فظهرت موهبته المبكرة في اللغة العربية وأدبها. ولم يكتفِ بهذا، بل برع في الكتابة الأدبية في سنٍ مبكرة. وقد تأثر عبد الله بفكر الإمام الغزالي وقد تأثر بالتصوف الفلسفي

[1] بوسقطة، السعيد(2019)، الأبعاد الصوفة في شعر الخمرة، بونة للبحوث والدراسات، ع 31، 32، 48 – 60، مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1038926

[2] Sutopo and Misno, Kontribusi Abdullah bin Nuh dalam Pengembangan Pendidikan Islam di Cianjur, Sukabumi dan Bogor, Jawa Barat, Journal Al Murabbi, Vol. 4, No. 1, July 2017, ISSN 2406-775X, p.74.

من محيي الدين ابن عربي وابن الفارض.[1] يتبين ذلك التأثير من خلال مؤلفات ابن نوح ودفاعه الصريح عن كلٍ من محيي الدين ابن عربي وابن الفارض، حيث يؤكد أنهما من خيرة الأولياء بل ومن المقربين عند الله تعالى.[2]

معجم الخمرة عند الصوفية

تعود جذور التغنّي بالخمرة إلى العصور الأولى للشعر العربي، حيث تفاخر شعراء الجاهلية بلهْوهم بشراب "الصهباء" الذي مثّل ملاذاً من قسوة الواقع ووسيلة للبحث عن متعة مفقودة. وقد ارتبطت الخمرة بقِيم العرب الأصيلة كالكرم والسخاء، لكنها مع ذلك لم تسلم من النقد المجتمعي، حيث رأت القبيلة فيها مصدراً للفساد والانحلال، فرفضتها وانتقصت من شاربها، لما ارتبط بها من مفاسد ومجون لم تكن لتحظى بقبول اجتماعي.[3]

استمرت ظاهرة التغنّي بالخمر في الأدب العربي رغم تحريم الإسلام الصريح لها، بل ازدهرت وتطورت في العصر العباسي مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدهار الحضارة. حيث شهدت تلك الفترة انتشاراً واسعاً لمجالس الطرب والشراب، مما أدى إلى ظهور تيارات أدبية متخصصة في هذا المجال، انضم إليها العديد من المتابعين والمريدين. وقد برز في هذا المضمار شعراء كبار مثل مسلم بن الوليد وأبي نواس، الذين أسسوا ما يشبه "النوادي الخمرية" المختصة بموضوع الخمر.

لقد أسهب الشعراء عصرئذ في وصف الخمرة ولونها وصفائها وعدم مزجها بغيرها، فهذا أبو نواس قد استهوته صفرتها فشبهها بالذهب أو شعاع الشمس، وذلك في قوله (البسيط):

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته شرّاء
قامت بإبريقها والليل معتكر فلاح من وجهها في البيت لألاء[4]

أما أجود أنواع الخمور فهي تلك التي عتقت واختمرت حتى غدت تربا للدهر في القدم، كما يجلي ذلك قوله (المديد):

فَاسقِنِي الخَمرَ الَّتي اختَمَرَت بِخِمارِ الشَيبِ في الرَحِمِ

---

[1] Muhammad Syafii Antonio, KH. Abdullah bin Nuh Ulama Sederhana Kelas Dunia, Jakarta, p.12.

[2] عبد الله بن نوح، أنا مسلم سني شافعي، تحقيق: عدلي القرني وأزكى فؤادي ومحمد عز المطاع، زاوية الروضة – جاكرتا، د ت، د ط، ص: 392.

[3] محمد يعيش، شعرية الخطاب الصوفي : الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس، سلسلة "رسائل وأطروحات"، رقم 1، 2003م، ص: 162.

[4] إيليا حاوي، فن الشعرالخمري وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م، ص: 93.

ثُمَّتَ اِنصاتَ الزمان لَها بَعدَما جازَت مَدى الهَرَمِ
فَهيَ لِليَومِ الَّذي بُزِلَت وَهيَ تِربُ الدَهرِ في القِدَمِ
عُتِّقَت حَتّى لَوِ اتَّصَلَت بِلِسانٍ ناطِقٍ وَفَمِ
لا اِحتَبَت في القَومِ ماثِلَةً ثُمَّ قَصَّت قِصَّةَ الأُمَمِ[1]

وهكذا انتشر الشعر الخمري انتشاراً كبيراً رغم عدم تشجيع الدين لذلك، حتى كأنَّ تحريم الخمر تحوّل إلى شكلٍ من الإباحة، ومحاولة منعها أصبحت سماحا.[2]

لكن الصوفية، وهم ورثةُ هذا المعجم الشعري، قلبوا دلالاته رأساً على عقب. فما عادت الخمرةُ شرابَ سكرٍ ماديّ، بل صارت رمزاً للوجد الروحي، و"كأسُ المحبة" عندهم ليس فيها ما يحرمه الشرع، لأنها تجسيدٌ للوصال الإلهي. فـ"النديم" صار ذكرَ الله، و"الحانة" صارت القلبَ المشرعَ لأسرار الربوبية، و"السُّكر" صار فناءً في الذات الإلهية.[3]

فهل يُعقل أن يُحرّم الإسلام الخمرة ثم يتغنّى بها المتصوفة؟ الجواب يكمن في الفرق بين الحقيقة والمجاز. فالصوفي يشرب من كأس المعنى، لا من كأس المادة، ويُسكَرُ بحبّ الله، لا بشراب العنب. وهكذا حوّل الصوفيةُ معجمَ الخمرة من دائرة المحظور إلى فضاء المشروع، بل إلى أعلى درجات القربى. لقد توسل الصوفية بالخمرة تجربتهم وتقيم لها شأنا عظيما وتبالغ في التغني بها وتغبط شاربها.[4]

وسنستعرض فيما يلي بعضا من أهم المصطلحات الخمرية في شعرهم الدالّة على تجربتهم الروحية.

قال ابن الفارض في مطلع ميميته الشهيرة:

شَرِبْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ[5]

ابن عجيبة فسر المدامة بقوله : "المدامة والمدام : اسم للخمر، لأن العرب نحت دوامها عندهم فسموها به تفاؤلا". وفي ذلك يقول :

---

[1] علي نور الدين المسعودي، المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، تونس، 1979م، ص:422.
[2] عبد الأمير ماذي مذكور، الخمرة في شعر أبي الشيص الخزاعي، وزارة الثقافة – دار الشئون الثقافية العامة، مج 48، عدد: 1، 2021، ص: 144.
[3] نور الدين ناس الفقيه، أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي، كُتَّاب – ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 1، 1414هـ / 2013م، ص: 25 – 26.
[4] نور الدين ناس الفقيه، أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي، كُتَّاب – ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 1، 1414هـ / 2013م، ص: 25 – 26.
[5] إيليا حاوي، فن الشعر الخمري وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م، ص: 93.

سَقَانِي حُبِّي مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ فَأَصْبَحَتْ مِن خَمْرِ الْهَوَى أتَضَلَّعُ[1]

أما علي بن سليمان البوجمعو فيربط في بعض إبادعه، بين المدامة والنور الإلهي، ولا سيما في قوله:

فَسَقَاهُمْ هُنُا مُدَامَةَ نُوْرِهِ بَدْرٌ وَشَمْسٌ وَالنُّجُوْمُ بِهَ حَرَى[2]

وتعنى هذه المدامة المحبة الإلهية التي هو قوام العالم وسر الوجود واقترانها بالنور والبدر والشمس والنجوم يجعلها مشرقة متوهجة.

وقال الششتري يتغنى عن إحساس التجلي على الذات العلية، ويسمي الصوفية بالخمرة الأزلية:

خَمْرُهَا دُوْنَ خَمْرِيْ خَمْرَتِيْ أَزَلِيَّة[3]

ويعني سكر خمرة الدوالي دون خمرتي. ويرتبط بالخمرة، في العرف الصوفي، عدد من المصطلحات، ومنها:

الكأس والحان والشذا والإناء والسكر وغير ذلك. والتي سنحاول تتبعها والوقوف عند دلالاتها متخذين من قصيدة "خمرة" لعبد الله بن نوح أساسا للدراسة.

التجليات الصوفية في قصيدة "خمرة" لان نوح

قبل أن نغوص في تحليل النص الشعري، نستعرض القصيدة كاملةً في إطارها النصي، لنتلمس بنيتها السياقية ونستنير بجوها العام. فهذا الاستعراض الشامل يمنحنا المفتاح لفهم أبعادها الفنية والروحية، ويكشف لنا عن السياق الذي تتنفس فيه الصور وتتفاعل فيه الدلالات.

خمرة

اِسْقِيَانِيْ يَاصَاحِبَيَّ اسْقِيَانِيْ خَمْرَةَ الْوُدِّ ذَاتَ أَلْفِ الْمَعَانِيْ

أَسْعِدَانِيْ بِطَيْفِ ذَاتِ غُنْجٍ أَسْمِعَانِيْ مِنْ لَحْنِ سِرِّ الْأَمَانِي

أَنْهِلَانِيْ حَدِيْثَ وَصْفِ جَمَالٍ عَلِّلَانِيْ بِذِكْرِهَا عَلِّلَانِيْ

أَقْبَلَتْ تَطْلُبُ الْقَوَافِيَ مِنِّيْ وَهْيَ فِي الْحُسْنِ عَيْنُ سِحْرِ الْبَيَانِ

قُلْتُ هَاكِ الْقَرِيْضَ خِلْوًا فَهَاتِي مِنْ مَعَانِيْكِ مِثْلَ حُبِّ الْجُمَانِ

فَدَهَانِيْ مِنْ حُسْنِهَا مَا دَهَانِيْ وَسَبَانِيْ مِنْ رُوْحِهَا مَا سَبَانِيْ

[1] إيليا حاوي، فن الشعر الخمري وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م، ص: 93.
[2] إيليا حاوي، فن الشعر الخمري وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م، ص: 93.
[3] إيليا حاوي، فن الشعر وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م، ص: 93.

لَسْـــتُ أَدْرِيْ بِـظَـاهِـرِ الْحُسْـــنِ مِنْهَـا تَـيَّـمَـتْـنِـيْ أَمْ حُسْـــنِ لُـبِّ الْـجَـنَـانِ
أَنْـتِ أَسْـــمَى مِـنْ كُـلِّ بَـدْرٍ وَشَـــمْـسٍ مُسْـــتَضَـــاءً يَـا تِـرْبَ حُـوْرِ الْـجِـنَـانِ
لَـيْـسَ لِـلْـبَـدْرِ مِـنْـكِ سِـــحْـرُ عُـيُـوْنٍ لَا وَلَا لِـلشُّـــمُـوْسِ رُوْحُ الْـغَـوَانِـيْ
صَـوْتُـكِ الْعَـذْبُ فِي الْحَـدِيْـثِ نَشِـيْـدٌ هُـوَ أَحْـلَى مِـنْ نَـغْـمِ كُـلِ الْأَغَـانِـيْ
أَنْـتِ أَوْفَى مِـنَ الـرِّيَـاضِ جَـمَـالًا أَنْـتِ مِصْـــبَـاحُ رَكْـبِ هَـذَا الـزَّمَـانِ
فُـقْـتِ سَـــمْـرَاءَ كُـلَّ ذَاتِ حَـلَاءٍ وَفِـدًى كُـلُّـهُـنَّ بِـيْـضُ الْـحِسَـــانِ
أَيْنَ حُـوْرُ الْـجِـنَـانِ مِنْ وَصْـــفِـكِ الْـعُـلْـ ـــــــوِيِّ طُـهْـرًا وَالـدَّارُ دَارُهَـوَانٍ
كَـامِـلَاتٌ أَوْصَـــافُ حُسْـــنِـكِ مَـعْـنًى مَـانِـعَـاتٌ بِـدِيْـنِـهَـا كُـلَّ جَـانٍ
فَـاحْـكُـمِيْ فِيْ شَـــرِيْـعَـةِ الْـوُدِّ إِنِّـيْ لَـكَ عَـبْـدٌ فِيْ مِـثْـلِ طُـوْعِ الـبَـنَـانِ
أَنْـتِ رُوْحِـيْ وَفِـيْ يَـدَيْـكِ فُـؤَادِيْ فَـاتَّـقِـي اللهَ مِـنْـكِ فِـيْـمَـا أُعَـانِـيْ
سَـــهَـرٌ فِي الـدُّجَى وَشَـــوْقٌ مُـلِـحٌّ وَانْـتِـظَـارٌ فِي مِـثْـلِ حَـدِّ السِّـــنَـانِ
بَـالِـغَـاتٌ سِـــهَـامُ سِـــحْـرِكِ مِـنِّـيْ رَامِـيَـاتٌ مِـنْ كُـلِّ قَـاصٍ وَدَانٍ
فَارْحَمِيْنِيْ كَفَاكِ نَصْرًا وَعِزًّا أَرْشِدِيْنِيْ إِلَى سَبِيْلِ الْأَمَانِ

هذه القصيدة تعبّر عن حالة من الخمرة الروحية أو الوجد الصوفي، حيث يصف الشاعر انجذابه نحو محبوبته (التي قد تكون رمزًا للحب الإلهي أو الجمال المطلق) باستخدام لغة مليئة بالتشبيهات والاستعارات التي توحي بالسُكر والانبهار. ففي مطلع القصيدة يطلب الشاعر من صاحبيه أن يسقياه هذه الخمرة، وكأنه يطلب الإشراق الروحي أو الفيض الإلهي، يقول:

إِسْقِيَانِيْ يَا صَاحِبَيَّ إِسْقِيَانِيْ خَمْرَةَ الْوُدِّ ذَاتَ أَلْفِ الْمَعَانِيْ[1]

شبه الشاعر الحديث عن المحبوبة بالخمرة .. وحذف المشبه وأبقى المشبه به .. **وهي استعارة تصريحية.** والخمرة هنا ليست خمرًا ماديًا، بل "خمرة الود"، أي خمرة المحبة الروحية التي تحمل ألف معنى، مما يوحي بأنها تجربة عميقة تتجاوز المادية. ويشير إلى ذلك قوله : (خمرة الود ذات ألف المعاني).[2]

[1] عنوان القصيدة: خمرة ، من بحرالخفيف ، قافية النون المكسورة ، ديوان ابن نوح، ص: 194

[2] علي جميل مهنا، الشعر الصوفي عند ابن الفارض وابن عربي، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ص: 251.

ثم يُجسِّد الشاعر الخمرة الإلهية (أو الخمرة الروحية الصوفية) في صورة فتاة ساحرة تطلب منه أن ينظم الشعر في مدحها، لكنه يحذف ذكرها ويترك إشارات تدل عليها، مما يُضفي على الصورة غموضًا وجمالًا، يقول:

أَقْبَلَتْ تَطْلُبُ الْقَوَافِيَ مِنِّيْ وَهْيَ فِي الْحُسْنِ عَيْنُ سِحْرِ الْبَيَانِ[1]

حيث صور الشاعر الخمرة بفتاة جميلة تطلب منه أن يقول شعرا فيها. وحذفت الفتاة وبقي بعض صفاتها (الإقبال، الطلب، والجمال) **وهي استعارة مكنية.** والتشابه الأساسي هو في الجمال، الإلهام، والسحر.

إن العلاقة بين التصوف والمرأة تمتد جذورها إلى أصل الخليقة نفسها، لتتحول إلى لوحة من الحب والشوق والحنين. فها هو ابن عربي يصور ذلك بقوله: «وعمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء باللهو إليها، فلا يبقى في الوجود فراغ. فلما سكنتها حواء، اشتاق إليها كما يشتاق إلى ذاته». وهكذا يصبح الحنين عهدًا مقدسًا يربط الرجل بالمرأة في الرؤية الصوفية، لا بوصفها كيانًا منفصلًا، بل بكونها الجزء الضائع من «الإنسان الكامل». فتتجلى المرأة في التجربة الصوفية مرآةً للحب الإلهي، وجسرًا يعبر من خلاله التجلي المطلق إلى الصورة المحسوسة.[2]

ثم يتدارك الشاعر شرح تلك المعاني الجميلة ويشبهها بحبات اللؤلؤ من الفضة، بقوله:

قُلْتُ هَاكِ الْقَرِيْضَ خِلْوًا فَهَانِيْ مِنْ مَعَانِيْكِ مِثْلَ حَبِّ الْجُمَانِ[3]

حيث شبه الشاعر معاني الخمر بحبات اللؤلؤ، مما يجعل الصورة أوضح وأكثر حيوية. اللؤلؤ يتميز ببريقه الأبيض النقي، مما يوحي بأن معاني الخمر نقية ومشرقة كاللؤلؤ. **وهذا تشبيه.**

ثم يقف الشاعر عند وصف محبوبته كالحور في الجنة، بل يصف جميل صوتها، وشبه صوتها وهي تتحدث بالنشيد، أي الغناء المتناغم الجميل، و"العذب" يُضيف وصفًا يجعل الصوت كالماء العذب، مما يعزز فكرة الانتعاش والبهجة. يقول الشاعر:

صَوْتُكِ الْعَذْبُ فِي الْحَدِيْثِ نَشِيْدٌ هُوَ أَحْلَى مِنْ نَغْمِ كُلِّ الْأَغَانِي[4]

---

[1] عنوان القصيدة: خمرة، من بحر الخفيف، قافية النون المكسورة، ديوان ابن نوح، ص: 194.

[2] محمد أرزازي، صورة المراة في الخطاب الصوفي : ابن عربي نموذجا، مجلة عبد الحميد بن باديس – كلية العلوم الاجتماعية – مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسلفة السلم،2016، مجلد : 5، عدد: 2، ص : 217.

[3] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، الديوان، ص: 194

[4] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، الديوان، ص: 194

شبه صوت الفتاة بأنه نشيد وهذا من امتداد تصوير الخمرة بالفتاة .. هذا **تشبيه.** حتى كلامها العادي يُشبه النشيد. هنا يُفضل صوتها على كل الألحان والأغاني، مما يوحي بأن الصوت يفوق كل المقاييس الفنية فكأنه يقول: حتى أجمل الألحان لا تضاهي صوتها. وفي القصيدة، الخمرة الإلهية مُجسَّدة كفتاة، لذا فإن صوتها هو جزء من سحرها. والنظرة الصوفية للمرأة تعبر عن تجربة روحية عميقة توجه العاشق الصوفي في مساره التعبدي الذي يضع كغاية له الفناء في الذات الإلهية، وهذا ما ميز تجربة ابن نوح مع المرأة متأثرا بابن عربي.[1]

بل يصف المحبوبة بذَاتِ غُنْجٍ". وهذه تُوحي بأن المحبوبة تتعمد الإغواء بكلامها، مما يعزز فكرة الخمرة الإلهية التي تُسكر العاشق، يقول الشاعر:

أَسْعِدَانِي بِطَيْفِ ذَاتِ غُنْجٍ أَسْمِعَانِيْ مِنْ لَحْنِ سِرِّ الْأَمَانِيْ[2]

حيث شبه الشاعر الحديث عن المحبوبة ذات الغنج بلحن موسيقي عذب يحمل أسرار الأماني .. وحذف المشبه وأبقى المشبه به .. وهي **استعارة تصريحية.** واللحن هنا ليس موسيقى عادية، بل هو لحنٌ يحمل أسرارًا تحمل الأماني التي تُشير إلى أحلام العاشق أو أشواقه الإلهية.

ثم يعتمد الشاعر على المقارنة في وصف جمال الفتاة وجمال الطبيعة (الرياض)، ثم يضيف بعد ذلك صورة أخرى وهي تشبيهها بالمصباح الذي ينير زمانها. يقول:

أَنْتِ أَوْفَى مِنَ الرِّيَاضِ جَمَالًا أَنْتِ مِصْبَاحُ رَكْبِ هَذَا الزَّمَانِ[3]

شبه الفتاة التي شبهت بها الخمر بأنها في جمالها كالرياض ..وهذا امتداد في الصورة أيضا.. وهذا **تشبيه.** ثم يصف محبوبته ككائن سماوي لكن ليست كالبدر أو الشمس، بل تفوقهما جمالًا، مما يوحي بأنها تمثل الجمال المطلق، وهو مفهوم صوفي يشير إلى جمال الله أو الحقيقة الإلهية. يقول الشاعر:

أَنْتِ أَسْمَى مِنْ كُلِّ بَدْرٍ وَشَمْسٍ مُسْتَضَاءً يَا تِرْبَ حُوْرِ الْجِنَانِ[4]

حيث شبه الفتاة بأنها مثل حوريات الجنة .. هي من **صور التشبيه.** هنا يُفضل الشاعر محبوبته (الفتاة) على البدر والشمس، وهما رمزان للجمال والضياء في الأدب العربي. فالمشبه : الفتاة

---

[1] محمد أرزازي، صورة المرأة في الخطاب الصوفي: ابن عربي نموذجاً، جامعة عبدالحميد بن باديس - كلية العلوم الإجتماعية - مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم ، مج 5، ع 2، ص : 212.

[2] عنوان القصيدة: خمرة ، من بحرالخفيف ، قافية النون المكسورة ،ديوان ابن نوح ، ص: 194

[3] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، الديوان، ص: 194

[4] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، الديوان، ص: 194

(الخمرة الإلهية أي المحبوب أو الذات الإلهية) والمشبه به : الحور العين في الجنة. والشاعر لا يكتفي بجعل محبوبته مساوية للبدر أو الشمس، بل يجعلها أسمى منهما، مما يعطي انطباعًا بأن جمالها لا يُضاهى .هذا يدل على أن الخمرة الإلهية (أو المحبوبة) ليست من هذا العالم، بل هي من عالمٍ أعلى. وكلمة "مُسْتَضَاءً" توحي بأن المحبوب مصدر إشراق، كأنه نورٌ يغمر الكون. فتتناسب فكرة ابن نوح بالفكرة الصوفية في الحب الإلهي أنه هو نورٌ يهدي الروح.

ثم يصف جمال محبوبته الذي قد أذهله وأسره روحياً في قوله :

فَدَهَانِيْ مِنْ حُسْنِهَا مَا دَهَانِيْ وَسَبَانِيْ مِنْ رُوْحِهَا مَا سَبَانِيْ
لَسْتُ أَدْرِيْ بِظَاهِرِ الْحُسْنِ مِنْهَا تَيَّمَتْنِيْ أَمْ حُسْنِ لُبِّ الْجَنَانِ

في البيتين يصف الشاعر لحظة اندهاش وانبهار تبلغ به ذروة الحيرة، فلا يدري: أهو مسحور بجمالها الظاهر، أم بسر جمالها الباطن؟ وهنا يغرق في "سكره الصوفي"، حيث يذوب وعيه المادي في فيض الجمال الإلهي. فكلمتا "حسنها" و"روحها" قد تحملان دلالة أعمق، إذ تشيران إلى تجليات الذات الإلهية.[1]

ثم يُجسِّد الشاعر صورةً مثاليةً لمحبوبته (الفتاة) من خلال مقارنتها بحور الجنة، لكنه يذهب إلى أبعد من ذلك، معتبرًا أنها تفوقهنَّ طهرًا وجمالًا. يقول:

أَيْنَ حُوْرُ الْجِنَانِ مِنْ وَصْفِكِ الْعُلْوِيّ طُهْرًا وَالدَّارُ دَارُ هَوَانِ[2]

شبه الشاعر محبوبته بحوريات الجنة في طهرها .. وحذف المشبه وأبقى المشبه به .. **وهذه استعارة تصريحية**. هنا يسأل الشاعر سؤالًا بلاغيًا (استفهام إنكاري) يُفيد التعجُّب والتفضيل، أي: أين حور الجنة من جمالك وطهرك؟ يؤكد الشاعر أن الفتاة تتمتع بـ"طُهر" يفوق طهر الحوريات.

ويختم الشاعر مخاطبا محبوبته (التي ترمز إلى الحب الإلهي) طالبًا منها أن تحكمه وفق "شريعة الود"، أي قوانين المحبة بقوله :

فَاحْكُمِي فِي شَرِيْعَةِ الْوُدِّ إِنِّيْ لَكِ عَبْدٌ فِيْ مِثْلِ طَوْعِ الْبَنَانِ[3]

[1] فاطمة داود، التجليات الإلهية عند شعراء تلمسان الصوفيين، مجلة حوليات التراث – العدد 17/ 2017، ص: 87.
[2] عنوان القصيدة: خمرة ، من بحرالخفيف ، قافية النون المكسورة ،ديوان ابن نوح ، ص: 195
[3] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، ديوان ابن نوح ، ص: 195

حيث شبه الشاعر نفسه بالعبد للفتاة التي شبهت بها الخمر .. وحذف المشبه به وهو الحاكم وأبقى بعض صفاته (فاحكمي) وهي **استعارة مكنية**. كما شبه نفسه بالبنان الطائع لصاحبه. وهذا **تشبيه..**

ويشبه الشاعر نفسه أيضا بـ"البنان" (أي الأصابع) التي تتحرك طاعة لصاحبها دون تردد. وهذا التشبيه يُبرز الخضوع التام، حيث أن الأصابع لا تعصي من يحركها. وفي التصوف، هذه الإشارة تعبّر عن الوصول إلى مرحلة الفناء، حيث يصبح العبد كالأداة في يد الله، لا يتحرك إلا بإرادته.[1]

جدول صور التشبيه والاستعارة:

المحل الشاهد	الصورة	المشبه	المشبه به	وجه الشبه
إِسْقِيَانِي يَا صَاحِبَيَّ اسْقِيَانِي خمرة الود	الاستعارة التصريحية	الحب الإلهي	خمرة الود	الإسكار والذهول النشوة واللذة الروحية كثرة المعاني وتعدد التجارب
مِنْ مَعَانِيْكَ مِثْلَ حَبِّ الْجُمَانِ	تشبيه	معاني الخمر	حبات الجمان	الصفاء واللمعان والقيمة والندرة والتناسق والجمال
أَقْبَلَتْ تَطْلُبُ الْقَوَافِيَ مِنِّيْ	الاستعارة المكنية	الخمرة	الفتاة	الجمال والفتنة السحر والبيان
يَا تِرْبَ حُوْرِ الْجِنَانِ	تشبيه	الفتاة	حور الجنان	الحمال والنور والإشراق والرفعة والطهارة
أَيْنَ حُوْرُ الْجِنَانِ مِنْ مِنْ وَصْفِكِ الْعُلْوِيّ	الاستعارة التصريحية	الفتاة	حور الجنان	الحمال والنقاء والعلو الفائق
أَنْتِ أَوْفَى مِنَ الرِّيَاضِ جَمَالًا	تشبيه	الفتاة	الرياض	الجمال والبهاء والكمال
صَوْتُكِ الْعَذْبُ فِي الْحَدِيْثِ نَشِيْدٌ	تشبيه	صوت الفتاة	نشيد	العذوبة والجمال الصوتي التأثير العاطفي
فَاحْكُمِي فِي شَرِيْعَةِ الْوُدّ	استعارة مكنية تمثيلية	الشاعر أمام الفتاة	المدعو أمام الحاكم	الخضوع والطاعة المطلقة التسليم والانقياد

[1] فضيلة بن عيسى، شعرية الخطاب الصوفي "ترجمان الأشواق" لابن عربي نموذجا، رسالة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة – وهران 10، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص:72.

إِنِّيْ لَكِ عَبْدٌ فِيْ مِثْلِ طَوْعِ الْبَنَانِ	تشبيه تمثيلي	الشاعر أمام الفتاة	طوع البنان الطائع لصاحبه	الخضوع التام والارتباط العضوي

من خلال هذا الجدول نجد أن أبيات الشاعر تتضمن معنى الشطح الصوفي إذ تمثل كلمات رمزية تشير إلى التجربة الصوفية ولا يدركها إلا العاشق بالله. وقد استخدم الشاعر الصور البيانية من الاستعارات والتشبيهات لتمثيل مفاهيمه الروحية أو تجاربه الباطنية التي يصعب التعبير عنها بشكل مباشر. مثلاً، (خمرة الود) التي تُشبّه بـ(الفتاة الجميلة) ثم يصف صوتها وصفائها ولمعانها، ثم يصور المقام والحال التي تحيط بالشاعر من الخضوع التام والطاعة المطلقة والتسليم والانقياد.

عبر الشاعر شوقه إلى معرفة الله وحبه له بعبارات توهم القارئ بأن هذه القصيدة هي قصائد خمرية شأنها شأن قصائد شعر الخمر. وابن نوح ذكر الخمر مريدا بذلك الذات الإلهية لأنه نشأ نشأة دينية ورُبيَ تربية صوفية، فسلك طريق الصوفيين في شعره، ينظم إشاراتهم ويصف مقاماتهم، والخمرة عنده يرمز بها رمزا صوفيا لا يُفسر إلا باطنيا وقد تأثر بابن عربي حيث ذكر ابن نوح في شعره نفس العبارة التي ذكرها ابن عربي في "ترجمان الأشواق" في قوله:

مَرَضي مِن مَريضَةِ الأَجفانِ عَلِّلاني بِذِكرِها عَلِّلاني[1]

ويقتبس ابن نوح منه قائلا:

أَنْهِلَانِيْ حَدِيْثَ وَصْفِ جَمَالٍ عَلِّلَانِيْ بِذِكْرِهَا عَلِّلَانِيْ

النتائج

استخدم الشاعرُ تشبيهات واستعاراتٍ بلاغية لتصوير علاقته الروحية مع الله تعالى، مُعبّراً عن شوقه للمعرفة الإلهية من خلال رموزٍ صوفيةٍ مدهشة. ويبدو ذلك من النتائج التالية:

1. وصف الشاعر شوقه لمعرفة الله تعالى من خلال **صورة الاستعارة** في قوله : (خمرة الحب ذات المعاني) حيث رمز بخمرة الود المحبة الإلهية التي تسكر قلبه وتجعله يغيب عن العالم المادي في حالة وجد. وتشير كلمة (ألف معان) التي شبهها بـ"حبات الجمان" إلى أسرار الوجود والحكمة الإلهية التي يدركها الشاعر.
2. ثم يجسد الشاعر الخمرة الإلهية في **صورة الاستعارة** حيث شبهها بـ(الفتاة) (ذات الغنج) التي (في حسنها) عين سحر البيان. فهي تطلب منه أن ينظم الشعر في مدحها. ثم يصفها

[1] عنوان القصيدة : خمرة ، من بحر الخفيف ، قافية النون المكسورة ، ديوان ابن نوح، ص: 195

ككائن سموي لكن ليست كالبدر أو الشمس بل هي (أسمى منهما) في نورها وضيائها بل هي مثل حوريات الجنة. فصوَّر الشاعر صورة مثالية للفتاة حتى يقارنها بحور الجنة في قوله : (لست أدري بظاهر الحسن منها تيمّتني أو حسن لب الجنان). بل يعتبر أنها تفوقهن في طهرها وجمالها. حتى يسأل سؤالا إنكاريا : (أين حور الجنة من جمالك وطهرك؟). ثم يصف تلك الفتاة في صوتها. فعبّر صوتها العذب بالنشيد الذي هو (أحلى من نغم كل الأغاني).

3. ثم يقف الشاعر أمام الفتاة الجميلة موقف المدعو أمام الحاكم عند المحكمة، وهو يستسلم لمشيئتها. أو يقف أمامها موقف العبد أمام سيده، لا يملك من أمره شيئا، بل هو تابع لمشيئة الحق عز وجل مثل طوع البنان.

الخاتمة

من خلال تحليل النتائج السابقة، يتجلى أن الشاعرَ استطاع ببراعةٍ أن ينسجَ علاقةً روحيةً فريدةً بين الحب الإلهي والجمال المادي، مستخدماً أدواتٍ بلاغيةً عميقةً كالاستعارة والتشبيه ليعبِّر عن سعيه نحو المعرفة الإلهية.

قائمة المراجع العربية:

1. بن عيسى، فضيلة، شعرية الخطاب الصوفي "ترجمان الأشواق" لابن عربي نموذجا، رسالة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة – وهران 10، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
2. ابن نوح، عبد الله، أنا مسلم سني شافعي، تحقيق: عدلي القرني وأزكى فؤادي ومحمد عز المطاع، زاوية الروضة – جاكرتا، د ت، د ط.
3. ابن نوح، عبد الله، ديوان حقائق وأحلام ونظرات، نسخة غير مطبوعة.
4. أرزازي، محمد، صورة المراة في الخطاب الصوفي : ابن عربي نموذجا، مجلة عبد الحميد بن باديس – كلية العلوم الاجتماعية – مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسلفة العلم،2016، مجلد : 5، عدد: 2.
5. أرزازي، محمد، صورة المرأة في الخطاب الصوفي: ابن عربي نموذجاً، جامعة عبدالحميد بن باديس - كلية العلوم الإجتماعية - مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم ، مج 5، ع 2.

6. بوسقطة، السعيد، الأبعاد الصوفة في شعر الخمرة، بونة للبحوث والدراسات، 2019،ع 31.
7. حاوي، إيليا، فن الشعر الخمري وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط: 1، 1960م.
8. فاطمة داود، التجليات الإلهية عند شعراء تلمسان الصوفيين، مجلة حوليات التراث – العدد 17/ 2017، ص: 87.
9. الفقيه، نور الدين ناس، أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي، كُتَّاب – ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 1، 1414هـ/ 2013م.
10. مذكور، عبد الأمير ماذي، الخمرة في شعر أبي الشيص الخزاعي، وزاررة الثقافة – دار الشئون الثقافية العامة، مج 48، عدد: 1، 2021.
11. المسعودي، علي نور الدين، المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، تونس، 1979م.
12. مهنا، علي جميل، الشعر الصوفي عند ابن الفارض وابن عربي، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.
13. يعيش، محمد، شعرية الخطاب الصوفي : الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس، سلسلة "رسائل وأطروحات"، رقم 1، 2003م2.

قائمة المراجع غير العربية:

Sutopo and Misno, Kontribusi Abdullah bin Nuh dalam Pengembangan Pendidikan Islam di Cianjur, Sukabumi dan Bogor, Jawa Barat, Journal Al Murabbi, Vol. 4, No. 1, July 2017, ISSN 2406-775X.

Antonio, Muhammad Syafii, KH. Abdullah bin Nuh, ulama sederhana kelas dunia: ulama, tentara, pendidik, sejarawan, pemikir ekonomi, jurnalis : al-Ghazali dari Indonesia, , M•Ec & Tim Tazkia, Cetakan I, 2015.